كتاب
شرح ابن الوحيد
على رائية ابن البواب

تصنيف

الشيخ ابن البواب

مقدمة

أقْدم من أثبت هذه الرائية ـ على ما أعلم ـ ابن خلدون فى مقدمته[1]، ثم محمد بن حسن الطيبى فى «جامع محاسن كتابة الكتاب»[2] كما أثبتها محمد طاهر الكردى فى كتابه ـ تاريخ الخط العربى وآدابه ـ[3] والعلامة الأثرى فى تعليقاته القيمة التى ذيل بها كتاب ـ الخطاط البغدادى على بن هلال ـ لسهيل أنور[4].

كذلك ورد ذكر هذه الرائية فى ـ كشف الظنون ـ بصورة عابرة.

ولهذه الرائية شرحان أقدمهما شرح شرف الدين محمد بن شريف بن يوسف المعروف بابن الوحيد المتوفى سنة 711 هـ. وثانيهما شرح الشيخ برهان الدين بن عمر الجعبرى المتوفى 732 هـ. وقد ورد ذكرهما فى إيضاح المكنون دون ذكر مظان وجودهما. وكان العلامة الأثرى قد قال ما نصه: «ولم تكشف مظان وجود هذين الشرحين بعد»[5].

وقد حفزنى هذا إلى التنقيب كثيراً حتى ظفرت بنسخة فريدة من شرح ابن الوحيد هذا فرأيت أن أزفه لمحبى هذا الفن العربى الأصيل بعد تقديمه والتعليق عليه ومعارضة أصله بالنصوص المنشورة.

فأما ابن البواب فهو أبو الحسن على بن هلال علم ضخم من أعلام الخط العربى الخالدين عبر العصور ومن مفاخر العراق العربى، له غير هذه الرائية، آراء قيمة جداً فى الخط

---

(1) المقدمة ص 752 طبعة بيروت ـ مكتبة المدرسة ودار الكتاب اللبنانى.

(2) ص 19 ـ 20 ـ دار الكتاب الجديد ـ بيروت.

(3) ص 428 ـ 429 ـ المطبعة التجارية الحديثة ـ القاهرة.

(4) ص 31 ـ 33 مطبعة المجمع العلمى العراقى ـ بغداد.

(5) ذيل الخطاط البغدادى ص 30.

أثبت كثيراً منها القلقشندى فى صبح الأعشى. وهو الذى أقام الخط على قواعد جمالية وخلف بعده مدرسة فى الخط تجرى على آثاره، ولد فى القرن الرابع الهجرى[1]، كان أبوه بواباً لدى آل بويه فعرف بابن البواب، درس القرآن وحفظ الحديث ووعظ بجامع المنصور ومارس صناعتى الشعر والنثر، وكان أخذ الخط فيما تذكر شجرات الخطاطين عن محمد بن أسد البغدادى.

تغنى بجمال خط الشعراء الأعلام كالمعرى وسواه وتوفى سنة 413 هـ. ورثاه الشريف المرتضى بقصيدة فياضة بالأسى ومن آثاره الباقية بخطه: ديوان سلامة بن جندل بالآستانة والمصحف الكريم المحفوظ فى مكتبة جستربتى فى دبلن بأيرلنده، والمشهور أنه مبتدع خط الريحان. ألف عنه الدكتور سهيل أنور كتاباً بالتركية بعنوان ـ الخطاط البغدادى على بن هلال ـ ترجمه للعربية الأثرى وعزيز سامى وطبعه المجمع العلمى العراقى، مذيلاً بتعليقات نفيسة جداً لشيخ المحققين فى العراق محمد بهجت الأثرى[2].

* * *

وأما ابن الوحيد ـ شارح الرائية ـ فهو شرف الدين محمد بن شريف بن يوسف الزرعى المعروف بابن الوحيد، الدمشقى مولداً، العراقى دراسة، المصرى مسكناً وموطناً.

ولد بدمشق سنة 647 هـ، وكان خطاطاً مجيداً تتلمذ على ياقوت المستعصمى بالعراق وأبدع فى النسخ والمحقق والريحان أيما إبداع، واشتهر حتى قصدته الناس، ومارس النّظم

---

(1) ذكر الأستاذ صلاح الدين المنجد فى مقدمته لكتاب ـ جامع محاسن كتابة الكتاب ـ للطيبى أن ابن البواب ولد فى النصف الثانى من القرن الثالث الهجرى وهو وهم محض.

(2) راجع كتاب (الخطاط البغدادى على بن هلال) تأليف الدكتور سهيل أنور (وجامع محاسن كتابة الكتاب) للطيبى ومعجم الأدباء 18/15 ـ والمنتظم لابن الجوزى 10/8 ووفيات الأعيان لابن خلكان 345/1 والكامل لابن الأثير 121/9 والبداية والنهاية لابن كثير 14/12 وشذرات الذهب لابن العماد 199/3 ومقدمة ابن خلدون ص 752 (طبعة مكتبة المدرسة ودار الكتاب اللبنانى بيروت ـ 1961) وصبح الأعشى 17/3 والنجوم الزاهرة لابن تغرى بردى 257/4 والأعلام للزركلى 183/5 وتاريخ الخط العربى وآدابه لمحمد طاهر الكردى ص 334 والعبر للذهبى 113/3 وتاريخ ابن العبرى ص 180 ومعجم المؤلفين لعمر رضا كحالة 258/7، ومفتاح السعادة لطاش كبرى زاده 77/1 ودائرة المعارف الإسلامية 103/1.

والنثر. أجمع من أرخوا له أنه كان شجاعاً مقداماً تام الشكل حسن البزة متكلماً بعدة ألسن. وفي سنة إحدى وسبعمائة للهجرة قدم رسل التتار إلى مصر ومعهم كتاب غازان، فلم يقدر أحد على حله، فنودي عليه فحله، فعينه السلطان في ديوان الإنشاء.

وذكر بعض المؤرخين أنه اتصل ببيبرس الجاشنكير فاستكتبه ربعة أو ختمة بليقة الذهب، فكانت لا نظير لها في الحسن وأعجب بيبرس بخطه فأثابه عليه كثيراً وأدخله ديوان الإنشاء.

ومهما يكن من سبب دخوله الديوان فالذي اتفق عليه المؤرخون أنه لم ينجح في عمله في الديوان وكان كسولاً تبيت أشغال الناس عنده ولا تنجز.

ونعتقد أن مردّ ذلك إلى تعاطيه الحشيشة التي قال فيها:

وخضراء لا الحمراء تفعل فعلها ... لها وثبات في الحشا وثبات
تؤجج ناراً في الحشا وهي جنة ... وتبدي مرير الطعم وهي نبات

ومن شعره قوله :

جهد المغفل في الزمان مضيع ... وإن ارتضى أستاذه وزمانه
كالثور في الدولاب يسعى وهو لا ... يدري الطريق فلا يزال مكانه

وكان ناصر الدين شافع قد وقف على شيء من خط ابن الوحيد فقال:

أرانا يراع ابن الوحيد بدايعاً ... تشوق بما قد أنهجته من الطرق
بها فات كل الناس سبقاً فحبذا ... يمين له قد أحرزت قصب السبق

فقال ابن الوحيد:

يا شافعاً شفع العليا بحكمته ... فساد من راح ذا علم وذا حسب
بانت زيادة خطي بالسماع له ... وكان يحكيه في الأوضاع والنسب
فجاءني منه مدح صيغ من ذهب ... مرصعاً بل أتى أبهى من الذهب
فكدت أنشد لولا نور باطنه ... «أنا الذي نظر الأعمى إلى أدبي»

فلما بلغت ناصر الدين شافعاً هذه الأبيات قال:

نعم نظرت ولكن لم أجدْ أدبا ... يا من غدا واحداً فى قلة الأدب
جازيت مدحي وتقريظي بمعيرة ... والعيب فى الرأس دون العيب فى الذنب
وزدت فى الفخر حتى قلت منتسباً ... بخطك اليابس المرئى كالحطب
«بانت زيادة خطى بالسماع له ... وكان يحكيه فى الأوضاع والنسب»
كذبت والله لن أرضاه فى عمرى ... يا ابن الوحيد وكم صنفت من كذب
جازيت درّى وقد نضدته كلما ... يروق سمع الورى درّاً بمحتلب
وما فهمت مرادى فى المديح ولو ... فهمته لم توجهه إلى الأدب
سأتبع القاف إذ جاوبت مفتخراً ... بالزاى يا غافلاً عن سورة الغضب
خالفت وزنىَ عجزاً والروىَّ معاً ... وذاك أقبح ما يروى عن العرب

ويبدو أن ابن الوحيد قد احترز بقوله (لولا نور باطنه) إلا أن ذلك لم يفده شيئاً. وأرسل ابن الوحيد إلى السراج الوراق وقد مرض رقعة بخطه ومعها بالوجة سكر فقال السراج:

أرسل لى ابن الوحيد لما ... مرضت بالأمس جام سكر
ومدحة لى بخطه لى ... فقلت ذا سكر مكرّر
حلى وحلى فمى وجيدى ... عقد شراب وعقد جوهر

ومن شعره قوله:

يقولون لى من أرغد الناس عيشة ... ومن بات عن سبل المخاوف نائيا
فقلت لبيب عارف قهر الهوى ... وصار بحكم الله والرزق راضيا

* * *

قال ابن سيد الناس، قال لى ابن الوحيد قولهم: النبيذ بغير دسم سُم وبغير نغم غم لا ثالث لهاتين السجعتين، وقد عززتهما بثالث وهو بغير المليح قبيح.

من مؤلفات ابن الوحيد قصيدة فى معارضة لامية العجم سماها «سرد اللام».

كما خلف هذا الشرح الذى ننشره اليوم لرائية ابن البواب، وليس هذا الشرح هو كل ما ترك ابن الوحيد فى ميدان الخط إذ يبدو أنه له قصيدة قيمة أورد منها ـ الطيبى ـ وهو من رجال القرن العاشر الهجرى ما نصه:

تقصّرها إن خفت ضعف يراعها ... فإن يك صلباً كنت فى الطول ذا أمن
وسنّم له شحم اليراع لمنعه ... من النفش كيلا يرجع الرأس كالعن
وقدر من الإسناد فى الشعر قطة ... بما بين تحريف وتدويرة السن
فإن شئت ريحاناً قططت محرّفاً ... ليظهر فرك فى زواياه إذ تثنى
يرق به ما كان كالأسل ارتوى ... فيسلم فى فسخ البياض من الطعن
ولو طمسوا فيه وقلّ بياضه ... لأصبح فى الإظلام كالغيم ذى المزن
لأنّ به إعرابه فكأنه ... حروف، فما التدوير فى مثله يغنى
ودوّر إذا شئت الرقاع لأنه ... يخص لمنع الشكل بالجمع والشخن
ووفر له شحم البراءة ساتراً ... به الفرك كالمدفون يستر بالدفن
فريحاننا ضد الرقاع وإننا ... نباعد عنه ما إلى ضده ندنى

* * *

ولم نوفق فى الحصول على النص الكامل لهذه القصيدة.

ذكر ابن حجر العسقلانى أن ابن الوحيد كان يبيع المصحف نسخاً بلا تذهيب ولا تجليد بألف حتى أن بعض تلامذته كان يحاكى خطه فكان هو يشترى المصحف من تلاميذه بأربعمائة ويكتب فى آخره كتبه محمد بن الوحيد فيشترَى منه بألف، وهذا أكبر دليل على شهرته التى طبقت الآفاق، واشتغل ابن الوحيد كاتباً للشريعة فى جامع الحاكم أيضاً.

ذكر ابن تغرى بردى أن ابن الوحيد تصوف فى آخر حياته وحل بخانقاه (تكية) سعيد السعداء وأنه مات بالبيمارستان المنصورى وله من العمر ثلاث وستون سنة وكانت وفاته فى شعبان سنة 711 هـ[1].

(1) راجع: الخطاط البغدادى على بن هلال تأليف الدكتور سهيل أنور.
الأعلام للزركلى ج 7 ص 28 ـ 29. الدرر الكامنة: ج 3 ص 453.

تلك خلاصة مركزة عن القصيدة وناظمها وشارحها.

فأما المخطوطة فهي من مخطوطات دار الكتب المصرية ضمن مجموعة برقم 119 مجاميع عدد صفحاتها 14 صفحة وعليها تملك باسم أبي بكر بن رستم بن أحمد الشيرواني أحد رجال السلطان أحمد الثالث.

وقد كتب في الصفحة الأولى منها ما يلي: «القصيدة في آداب الخط المنسوب تأليف الأستاذ أبي الحسن علي بن هلال الكاتب البغدادي عرف بابن البواب رحمة الله عليه وشرحها الشيخ شرف الدين ابن الوحيد قدس الله روحه». وكتب تحتها ما يلي: للخزانة العالية المولوية القضائية الشهانية عمرها الله تعالى ببقائه.

وبعد فإني أتوجه بالشكر العميق إلى أخي المفضال المحقق المدقق فؤادا السيد أمين قسم المخطوطات بدار الكتب المصرية، لتفضله مشكوراً بتصوير المخطوطة لي، وهو فضل من أفضال كثيرة يذكرها فيشكرها هذا العاجز لرجل من جلّة المحققين وأساتيذ المدققين،

ثم إنني اتوجه إلى الله جلّ وعلا أن يتقبل هذا العمل بالقبول الحسن إنه نعم المولى ونعم النصير.

تونس في حزيران 1967

= شذرات الذهب في أخبار من ذهب لابن العماد الحنبلي ج 6 ص 27 طبعة المكتب التجاري بيروت.

فوات الوفيات لمحمد بن شاكر الكتبي ج 2 ص 438. الوافي بالوفيات ج 3 ص 150.

معجم المؤلفين ج 10 ص 68 تأليف عمر رضا كحالة.

النجوم الزاهرة لابن تغرى بردى الأتابكي ج 9 ص 220.

تاريخ الخط العربي وآدابه تأليف محمد طاهر الكردي ص 238.

صبح الأعشى ج 2 ص 463.

وقد ذكر مؤلف تاريخ الخط العربي وآدابه ص 237 أن ابن الوحيد كان حيّاً حوالي سنة 730 هـ وهو وهم محض.

قال الشيخ ابن البواب
رحمه الله

يا من يروم إجـــادة التـــحـــرير ويريد حـــسن الخط والتـــصـــوير

الشرح :

ويروى يا من يريد ويروم والمعْنى فى التقديم والتأخير واحد وقوله إجادة يعنى إجادة تحرير الكتابة وقوله والتصوير معناه تصور الخط وهو الغاية لأن المقصود من كل صناعة وغايتها تشبيه فعل الطبيعة فيجب أن تكون كل كلمة كالصورة متناسبة الأعضاء.

إن كـان عزمُك فى الكتابة صادقاً فـارغب إلى مـولاك فى التـيـسـيـر

أعْدِدْ[1] من الأقـلام كل مـثـقفٍ صُلْبٍ[2] يصوغ صياغة[3] التحبير[4]

الشرح :

قوله أعْدد فيه إشارة إلى تفضيل الأقلام العتيقةالمختزنة على الحديثة العهد بالقطع وتحريض على تعتيقها. ومثقف مُقَوّم وهو مشتق من الثقاف وهى الخشبة التى تُقَوّم منها الرماح والسهام، ويروى مُثَقّف هَشّ والتجربة تخالفها، لأن القلم الرخو يضطرك إلى تقصير جلفته جداً ويحفى سريعاً، ويصوغ استعارة والتحبير النقش من الحبرة.

وإذا عـمـدتَ لبـريه فـتَـوخّـهُ عند القـيـاس بأوسط التـقـدير

---

(1) عند المنجد (أعداد) وهو خطأ مطبعى فيما نعتقد.

(2) عند المنجد (كل مقوم هش) وهى رواية ضعيفة تدحضها التجربة.

(3) عند الأثرى والمنجد (صناعة).

(4) عند المنجد (التحبيرى) وهو وهم.

الشرح :

يعنى متوسطاً فى طوله وقصره وثخانته ورقته، إلا أن تبرى للطومار فتستغلظ وبالضد.

انظر إلى طَرَفَيْـه فـاجـعل بريه من جانب التدقيق والتخصير[1]

الشرح :

يعنى أن البرى يجب أن يكون من رأس الأنبوبة فإنه أصلب أجزائها لأنّ رطوبته قد جفّت بسبب انكشاف قشرها عنه ودوام قرع الشمس له ولذلك صار رأس الأنبوبة أدقّ لتلزُّزه وقد بيّنت أن صلابة القلم مطلوبة ورأس الأنبوبة أصلبها.

واجـعل لجَلْفَتِـه قَـوامـاً عـادلاً يخلو[2] من التطويل والتـقـصـيـر

الشرح :

لكل قصبة جلفة بحسب صلابتها فالصُّلبة تُطَوّل وَحدّها أن لا تأخذ فى الخط ولا تعطى فتختلفُ ثخانةُ الكتابة.

وكذلك شحمته اعتمد توسيطَها لتكون بين النقص والتـوفـيـر[3]

الشرح :

الشحمةُ إذا عظُمت سترت الفركات وإذا خفّت قلّت رطوبة الكتابة، فإن كان القلم محرّفاً رقّت منتصباتها رقّةً تنافرُ بها ثخانة منسطحاتها وفحُشت بها الفركات، والـدور تشخن به المنتصبات.

والشّق وَسَطْهُ ليـبـقـى سِنُّهُ[4] من جـانبـيـه مُـشـاكِلَ التـقـرير

---

(1) فى مقدمة ابن خلدون (والتخضير) وهو خطأ مطبعى. وعند (الكردى) التحفير وهو وهم.

(2) عند ابن خلدون (خلوا عن) وعند الأثرى (يخلو عن).

(3) هذا البيت غير موجود عند ابن خلدون ولا عند الأثرى.

(4) عند ابن خلدون والأثرى (بريه) وعند المنجد (سنه).

الشرح :

توسُّط شَقَّة القلم لينزل الحبر فى وسط الخط ولأن لا يضعف أحدُ شقّى القلم فتفسد الكتابةُ لكن إن عظم السِّنُّ الأيمن قليلا لم يَضُر.

حـــتى إذا أحكمت ذلك كُلَّهُ إحكام طَبٍّ بالمراد خـبـيـر[1]

الشرح :

الطَّبُّ بفتح الطاء والطبيب بمعنى مثل اللّب واللبيب والشيخ يحضّ على التحرير.

فاصرفْ لشأن[2] **القطّ عـزمك كُلَّهُ فـالقطُّ فـيـه جُـملةُ التـدبيـر**[3]

الشرح :

البحث فى القلم والشقّ لا يباشرُ أحدهُما الخط بنفسه والقطة هى التى تصور الكتابة بذاتها فمتى ما زاغت شفرة السكين عن الهيئية التى تكون عليها عند وقعها على القطة مقدار ربع شعرة أفسدت القط فلم تصحّ الكتابةُ فلذلك يجب أن يُصرف إليها صادقُ العناية والعزم.

لا تطمـعنْ فى أنْ أبوحَ بذكـره[4] **إنى أُضِنُّ بســـرّه المســـتـــور**

الشرح :

إنما بخل الشيخ بالتصريح به حتى لا يعرفه إلا مرتاضٌ فى فكّ رموز الحكمة على عادة الحكماء فى صيانة أسرارهم بالرمز عن الجهّال.

---

(1) عند الأثرى: **حتى إذا أتقنت ذلك كله إتقان طب بالمواد خبير**

والمعنى واحد فى أتقن وأحكم. ولكننا نعتقد أن كلمة ـ المراد ـ عندنا أصوب من كلمة (المواد).

(2) عند الأثرى (لرأى)، وعند المنجد (لسان) وهو تصحيف.

(3) الجدير بالذكر أن هذا البيت والذى سبقه قد تداخلا فى مقدمة ابن خلدون ـ طبعة مكتبة المدرسة ودار الكتاب اللبنانى ـ بيروت 1961 وثبتا كالتالى:

حتى إذا أتقنت ذلك كله فالقط فيه جملة التدبير

(4) عند ابن خلدون والأثرى والمنجد (بسره).

لكنّ جـــملة مـــا أقـــول بأنّه مـــا بين تحـــريف إلى تدوير[1]

الشرح :

رمز على القَطّة فى هذا البيت لما عانى فى تعرُّفها من الشدّه، ولأنّ الهمم كانت فى طلب الفضائل عالية فى زمانه، لأنّ جدوى هذه الصناعة كانت عظيمة فرمز السبب الأعظم فى إتقانها بقوله ما بين ولما غير قومٌ بعده كثيراً من طريقته لجهلهم بالقطّة ولقلّة ما وقع إليهم من جيّد خطّه وقلّت الهممُ فى بلوغ الغاية من هذه الصناعة رأيت كشف رمزه واجباً وهو أنه قال جملة فتحتَها تفصيلٌ والمعنى أنّ لكل قلم مسمى كالمحقق والنسخ قطّةٌ تخصُّه فقطّةُ الريحان أشدُّها تحريفاً ثم تقلّ حتى تكون قطّةُ الرقاع أقلّها فصارت أنواعاً من التحريف إلى التدوير.

فـابذُلْ له منك اجتـهـاداً كـافـيـاً فـعـسـاك تَظْفَـرُ منه بالمأثور[2]

الشرح :

الشيخ رحمه الله يَحُضّ على مزاولة القطة (بالقل فانالقلى)[3] من جيّد خطه الأقلام كلّها وقياسى على قطّاته المختلفة صحّت لى بطول التجربة ولما كان قطُّ الولى العجمى مدوّراً فَسَدَ ريحانُه وما يليه وصلح رقاعه وما يليه والعراقيون اليوم بالضدّ.

وألِقْ دواتك بالدُّخـــان مُـــدبّرا بالخَلّ أو بالحـصْـرم المعـصـور

الشرح :

اختار الدخان لنعومته وتطويسه واختار العصارتين لغلظهما وقبضهما وبعدهما عن الفساد وأنا أرى أن المركب على البارد خيرٌ منه وهو نسخة السمعانى، جزء عفص نصف

---

(1) هذا البيت أثبته المنجد قبل الذى تقدمه وهو إثبات غير صحيح لإخلاله بتسلسل المعانى.

(2) عند المنجد (بالميسور) وهو معنى ضعيف والصواب ما أثبتناه، وعند ابن خلدون والأثرى لا وجود لهذا البيت.

(3) كذا فى الأصل ولعله: بالنقل فأنا لنقلى.

جزء صمغ، ربع جزء زاج تُطحن وتدعك بما جُلَنار[1] فى الهاون أياماً حتى يتحد ويُصفّى ويلقى عليه من الشب والملح الذرأنى والزنجار والصبر لكل رطل منها نصف أوقية ويوضع فى الشمس أسبوعين لا ينمحى.

وأضِفْ إليه مَغْرَةً قد صُوِّلَتْ مع اصفر الزرنيخ والكافور

الشرح :

يعنى المغرةَ العراقية وهى تكسوه خمرة وتجعل له جسماً على[2] فيزيد معنى الرطوبة والزرنيخ يُحَسِّنُ لونه ويمنع الذباب ويُمتّنه والكافور يحفَظُه من الفساد ويُطيّبه.

حتى إذا خمّرتَها[3] فاعمد إلى الـ ـورق النقىّ الناعم المخبور

الشرح :

المخبور فى قبوله للصقال وأن لا يتقطّع فيه الخط وأن يطيب فيه مشى القلم ولا يتقصّف.

فاكْبِسْهُ بعد القَطْع فى المعصار[4] كى ينأى عن التشعيث والتغيير

الشرح :

إذا كبس بعد القطع زال منه التشعيث ولم تتغير مائيته وصقاله.

ثم اجعل التمثيل دأبك صابراً ما أدركَ المأمولَ مثلُ صبور

الشرح :

التمثيل التجويدُ على مثال وتمثيله فى أوراق كثيرة مراراً قبل وضعه فى المبيّضة لتجسر عليه.

---

(1) كذا فى الأصل ولعل صوابه: بماء جلنار.

(2) كذا فى الأصل.

(3) عند ابن خلدون والأثرى (حتى إذا ما خمرت)، وعند المنجد (حتى إذا أخمرتها) والأخيرة مغلوطة لغة.

(4) عند ابن خلدون والأثرى (بالمعصار).

ابدأ به في اللوح أول مـــــرة فكذاك فـعل الماجـد النحـرير[1]

ثم انتـقل للدرج[2] منتضيا[3] لـه عزما[4] تجـرّده من التـشـمـيـر[5]

الشـرح :

هذا للكاتب المنتهى لا يضع سطراً في ما يُبيّضه حتى يبدأ به فيما يبطلُه ليتخيّر وَضْعَه.

وابْسط يمينَك بالكتـابة مُـقْـدِمـا مـا أدرك المطلوب مـثلُ جـسـور[6]

الشـرح :

أقول إن تَهَيُّبَ القلب لوضع الكتابة سبب عظيم لضعفها واضطرابها وأكثر الناس يخاف أن لا تأتي على مراده فتختلّ يده لجبنه.

لا تخـــجلن من الردئ تَخُطُّه[7] في أوّل التـمـثـيل والتـسطيـر

الشـرح :

الجاهل الضعيف يستحي أن يرى الناس تقصيره في ابتداء تعلمه للفن فيمتنع من التعلم لكبره وغباوته فيبقى جاهلاً.

فـالأمـر يصـعُبُ ثم يرجعُ هيّناً ولَرُبَّ سـهْلٍ جـاء بعـد عـسـيـر

الشـرح :

هذا البيت يحذّر الطالب عند استبطائه وضجره من القنوط ويبشّر الصابر بنيل المطلوب.

---

(1) هذا البيت لا وجود له عند ابن خلدون والأثرى والمنجد وجميع المصادر الأخرى.

(2) عند ابن خلدون والأثرى والمنجد: (ابدأ به في اللوم).

(3) عند المنجد (منتصباً) وهو وهم مطبعي.

(4) عند المنجد (عضبا) وعند الأثرى وابن خلدون (عزما).

(5) عند ابن خلدون والأثرى (عن التشمير).

(6) عند ابن خلدون والأثرى لا يوجد هذا البيت وهو موجود عند المنجد.

(7) عند ابن خلدون (من الردى تختطه) وهو من تحريف النساخ.

فـإذا بلغت مناك فـيـمـا رمـتـه وغـدوت حِلْفَ مـسـرّةٍ وحـبـور[1]

الشـرح :

الحلف والحليف الملازم، وأصله أن العرب كان المستضعف منها يخاف أن يتخطّفه الناس فيأوى إلى القوىّ بعد أن يتحالفا، والحبور المسرة.

فـاشكرْ إلهك واتبعْ رضـوانَهُ إن الإلـه يُـحِـبُّ[2] كـل شـكـور

الشـرح :

الشكر التحدث بالنعمة، ومتابعة رضوانه تحرى طاعته مما يحبّهُ منك.

وارغـبْ لكفّك أن تَـخُطّ بنَانهَـا خـيـراً تُخَلّفـه بدار غـرور[3]

الشـرح :

رغبت إليه فى كذا أى طلبته وأحببته منه، وقوله بدار غرور يعنى لا تكتب شيئاً يسخط الله لعرض الدنيا فهى غرّارة ويبقى عاره.

فـجـمـيـع فـعـل المرء يلقـاه غـداً عند التـقـاء[4] كـتـابه المنشـور[5]

الشـرح :

المعنى عند التقاء كتابه يوم القيامة.

تمت بعون الله ولطفه وحمده.

---

(1) نص هذا البيت عند ابن خلدون والأثرى هو:

حتى إذا أدركت ما أملتـه أضحيت رب مسرة وحبور

وعند المنجد ناقص العجز، وصدره مطابق لنصنا.

(2) عند ابن خلدون (يجيب) والصواب ما أثبتناه.

(3) عند المنجد (غروب) وهو خطأ مطبعى ظاهر.

(4) عند ابن خلدون (الشقاء) وهو خطأ مطبعى.

(5) عند المنجد (المسطور).

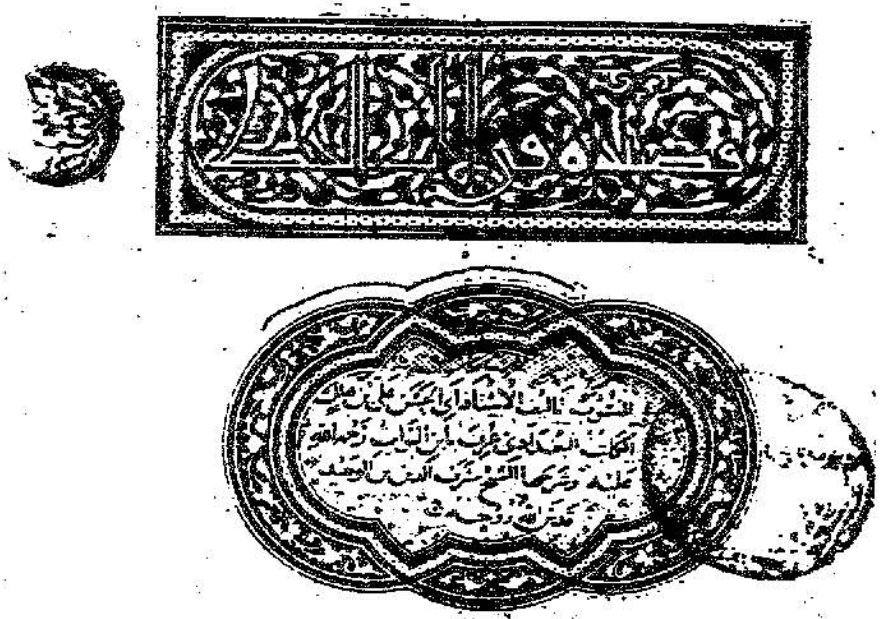

ورقة العنوان من مخطوطة شرح ابن الوحيد علي رائية ابن البواب

الورقة الأخيرة من مخطوطة شرح ابن الوحيد علي رائية ابن البواب

شرح المنظومة المستطابة

فى علم الكتابة

نظم الأصل على بن هلال الشهير بابن البواب

شرحه ابن البصيص وابن الوحيد

القرن الثامن الهجرى

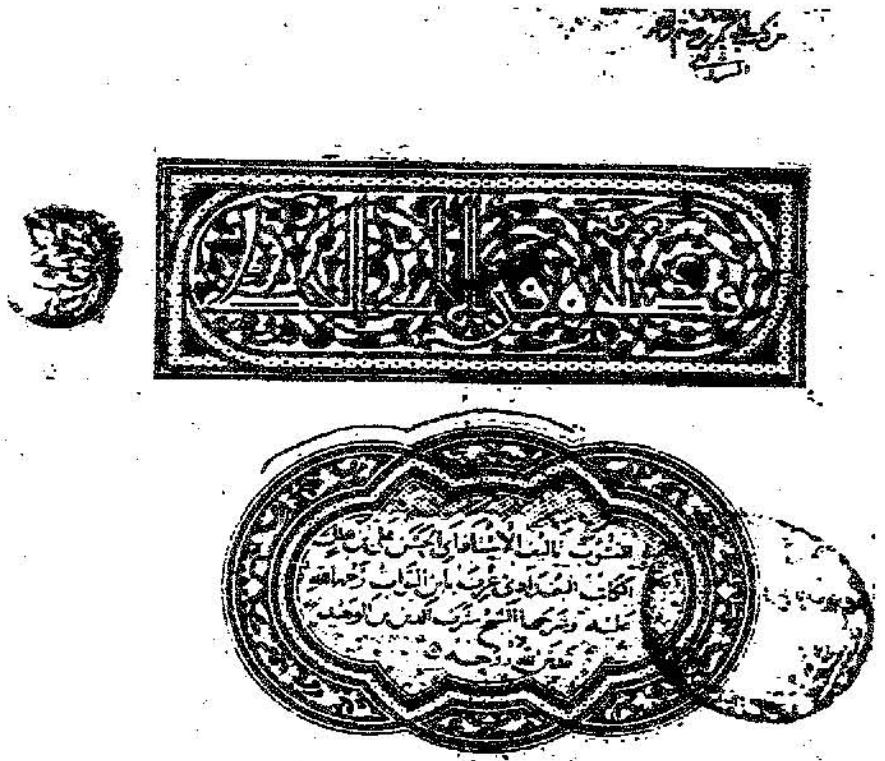

ورقة العنوان من مخطوطة شرح ابن الوحيد علي رائية ابن البواب

الورقة الأخيرة من مخطوطة شرح ابن الوحيد علي رائية ابن البواب

شرح المنظومة المستطابة

فى علم الكتابة

نظم الأصل على بن هلال الشهير بابن البواب

شرحه ابن البصيص وابن الوحيد

القرن الثامن الهجرى

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

وصف المخطوطة المعتمدة :

لقد كان من بركات أدائي العمرة في الديار المقدسة ربيع عام 1397 هـ ـ 1977 م أن ظفرت بمجموع نفيس في مكتبة عارف حكمت المجاورة لمسجد الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ بالمدينة المنورة. رقم هذا المجموع الخاص 80 ورقمه العام 227 مكتوب بخط النسخ مذهب الأطراف، معدل السطور في الصحيفة الواحدة منه 21 سطراً، والرسالة التي ننشرها اليوم هي الرسالة الثامنة والعشرون في المجموع وتشغل الصحائف 177 - 180 منه وهي نسخة فريدة فيما أعلم لكنها مملوءة بالتصحيف والتحريف.

عنوان الرسالة «رسالة في علم القلم والحبر والكتابة والورق تصنيف الشيخ أبي الحسن علي بن هلال الكاتب البغدادي المعروف بابن البواب وجمعت شروحها من شرح ابن بصيص ومن شرح ابن وحيد».

والرسالة من صنع جامع مجهول لا نعرف اسمه ولا عصره، قام بنسخ قصيدة ابن البواب الرائية الشهيرة ووضع لها شرحاً جمعه من شرحي ابن بصيص وابن الوحيد.

وتبدو أهمية هذا العمل حين نعلم بأن شرح ابن بصيص مفقود في زمننا هذا، كل ما بقي منه هو ما حفظه لنا جامع كتابنا هذا. لكن المشكلة كانت تبدو في دمجه أقوال الشارحين مما استدعى فرزاً لأقوال كل منهما على حدة أعاننا عليه سبق نشرنا لشرح ابن الوحيد على رائية ابن البواب عام 1967.

فكل ما كان لابن الوحيد فى شرحه المنشور سابقاً فرزناه وصدرناه باسمه.

وما لم يكن فى شرح ابن الوحيد، كان واضحاً أنه من كلام ابن بصيص ففرزناه وصدرناه باسمه.

وقبل الخوض فى أمر هذه الرائية وناظمها وشارحيْها، استوقفنا العنوان الذى كتب فى الورقة الأولى وهو «شرح المنظومة المستطابة فى علم الكتابة». فقصيدة ابن البواب نشرت فى المصادر القديمة غير مرة، أثبتها ابن الوحيد المتوفى سنة 711 هـ فى شرحه وكانت صحيفة العنوان فيه كالآتى «القصيدة فى آداب الخط المنسوب تأليف الأستاذ أبى الحسن على بن هلال الكاتب البغدادى عرف بابن البواب رحمة الله عليه وشرحها الشيخ شرف الدين بن الوحيد قدس الله روحه».

وأثبتها ابن خلدون المتوفى سنة 808 هـ فى مقدمته[1]، كما أثبتها محمد بن الحسن الطيبى فى كتابه «جامع محاسن كتابة الكتاب»[2] الذى صنفه سنة 908 هـ. لكن أى واحد من هؤلاء لم يذكر لها العنوان المذكور فى مخطوطتنا هذه، مما يجعلنا نرجح أن العنوان من وضع الجامع.

الناظم والشارحان :

فأما ناظمها على بن هلال فهو علم ضخم من أعلام الخط العربى الخالدين عبر العصور، ومن مفاخر العراق العربى. وله غير هذه الرائية آراء قيمة جداً فى الخط والقلم أثبت كثيراً منها القلقشندى فى صبح الأعشى والطيبى فى جامع محاسن كتابة الكتاب. وهو الذى أقام الخط على قواعد جمالية وخلف بعده مدرسة فى الخط تجرى على آثاره.

ولد ابن البواب فى القرن الرابع الهجرى، فدرس القرآن وحفظ الحديث ووعظ بجامع المنصور ومارس صناعتى الشعر والنثر، وكان أخذ الخط فيما تذكر شجرات الخطاطين عن

---

(1) المقدمة ص 752 طبعة بيروت ـ مكتبة المدرسة ودار الكتاب اللبنانى.

(2) ص 19 - 20 بتحقيق صلاح الدين المنجد ـ دار الكتاب الجديد ـ بيروت.

محمد بن أسد البغدادى (ت 410 هـ) تغنى بجمال خطه الشعراء الأعلام كالمعرى وسواه وتوفى سنة 413 هـ ورثاه الشريف المرتضى بقصيدة فياضة بالأسى، وإلى مدرسته فى الخط أشار الآثارى فى ألفيته بقوله:

واختلفَتْ فى وضعه الطرائقُ ... على ثلاثٍ أمّهـا الخلائقُ

لابن هلالٍ عَرَباً، وللعَجَمْ ... ياقوتُ، والعمادُ بالوضع خَتَمْ

ونظم محمد بن الحسن السنجارى أرجوزة سماها بضاعة المجود كرسها لعرض آراء ابن هلال وياقوت ومواضع الائتلاف والاختلاف فى آرائهما الفنية. والمشهور أن ابن البواب هو مبتدع خط الريحان. ومن آثاره الباقية: مصحف كريم محفوظ فى مكتبة جستر بتى فى دبلن بأيرلنده. وديوان سلامة بن جندل بالآستانة.

ألف عنه الدكتور سهيل أنور كتاباً بالتركية عنوانه ـ الخطاط البغدادى على بن هلال ـ ترجمه إلى العربية الأثرى وعزيز سامى وطبعه المجمع العلمى العراقى، مذيلاً بتعليقات قيمة للأستاذ محمد بهجة الأثرى.

وكنا قد نشرنا رائيته فى الخط بشرح ابن الوحيد فى تونس سنة 1967 [1].

---

(1) انظر ترجمة ابن البواب وأخباره فى المصادر التالية:

1- معجم الأدباء 18/15 و133/14.

2- المنتظم 10/8.

3- وفيات الأعيان ج 3 ص 342 ـ بتحقيق إحسان عباس ـ دار الثقافة ـ بيروت.

4- الكامل لابن الأثير 121/9.

5- البداية والنهاية 14/12.

6- شذرات الذهب 199/3.

7- مقدمة ابن خلدون ص 752.

8- صبح الأعشى ج 3 فى مواضع متعددة.

9- النجوم الزاهرة 257/4.

10- العبر للذهبى 113/3.

11- تاريخ ابن العبرى ص 180.

12- مفتاح السعادة 77/1.

13- جامع محاسن كتابة الكتاب للطيبى 19 - 20 ومواضع أخرى. =

وأما شارحها ابن الوحيد فهو شرف الدين محمد بن شريف بن يوسف الزرعي المعروف بابن الوحيد، الدمشقي مولداً، العراقي درساً، المصري مسكناً ومدفناً. ولد بدمشق سنة 647 هـ. ومهر في الخط وتتلمذ على ياقوت المستعصمي في العراق وأبدع في النسخ والمحقق والريحان. واشتهر حتى قصدته الناس ومارس النظم والنثر. كان شجاعاً مقداماً تام الشكل حسن البزة متكلماً بعدة ألسن. وفي سنة إحدى وسبعمائة للهجرة قدم رسل التتار إلى مصر ومعهم كتاب غازان. فلم يُقدر على حله، فنودى عليه فحله، فعينه السلطان في ديوان الإنشاء بمصر.

وذكر بعض المؤرخين أنه اتصل ببيبرس الجاشنكير فاستكتبه ربعة أو ختمة بليقة الذهب، فكانت لا نظير لها في الحسن وأعجب بيبرس بخطه فأثابه عليه كثيراً وأدخله ديوان الإنشاء.

= 14- شرح ابن الوحيدعلى رائية ابن البواب.
15- تحفة أولى الألباب لابن الصائغ ص 49.
16- تلخيص مجمع الآداب 734/4.
17- بضاعة المجود في علم الخط وأصوله ـ لمحمد بن الحسن السنجاري.
18- ديوان سقط الزند للمعري.
19- ديوان الشريف المرتضى 16/2 - 19.
20- حكمة الإشراق للزبيدي 85.
21- سير أعلام النبلاء للذهبي 315/17 - 320.
22- إيضاح المكنون 231/2.
23- «رسالة الخط المنسوب» المنسوبة للتوحيدي نشرها د. خليل عساكر ـ مجلة معهد المخطوطات العربية ـ المجلد الأول ص 123 - 127 ـ سنة 1955م.
24- دائرة المعارف الإسلامية 103/1.
25- الأعلام 183/5.
26- معجم المؤلفين لكحالة 258/7.
27- تاريخ الخط العربي وآدابه لمحمد طاهر الكردي ص 334.
28- الخطاط البغدادي علي بن هلال: سهيل أنور.
29- وضاحة الأصول لعبد القادر الصيداوي (مخطوط).
30- نظم لئالي السمط في حسن تقويم بديع الخط للقسطالي (مخطوط).
31- منهاج الإصابة للزفتاوي (مخطوط).
32- دول الإسلام للذهبي 246/1.

ومهما يكن من سبب دخوله الديوان فالذى اتفق عليه المؤرخون أنه لم ينجح فى عمله فى الديوان، وكان كسولاً تبيت أشغال الناس عنده ولا تنجز.

ذكر ابن حجر العسقلانى أن ابن الوحيد كان يبيع المصحف نسخاً بلا تذهيب ولا تجليد بألف، حتى أن بعض تلامذته كان يحاكى خطه فكان هو يشترى المصحف من تلميذه بأربعمائة ويكتب فى آخره كتبه محمد بن الوحيد فيشترى منه بألف. وهذا أكبر دليل على شهرته التى طبقت الآفاق، واشتغل ابن الوحيد كاتباً للشريعة فى جامع الحاكم أيضاً.

من مؤلفات ابن الوحيد:

1- نصف العيش. نشرها عادل البكرى فى العراق.

2- «سرد اللام» وهى قصيدة فى معارضة لامية العجم.

3- شرح رائية ابن البواب.

4- قصيدة نونية فى الخط أورد الطيبى مقتطفات منها فى جامع محاسن كتابة الكتاب

ذكر ابن تغرى بردى أن ابن الوحيد تصوف فى آخر حياته وحل بخانقاه (تكية) سعيد السعداء وأنه مات بالبيمارستان المنصورى وله من العمر ثلاث وستون سنة، وكانت وفاته فى شعبان سنة 711 [1].

وأما الشارح الثانى ابن بصيص فقد ظفرت بذكره فى مرجعين:

---

(1) انظر ترجمته وأخباره فى المصادر التالية:

1- الوافى بالوفيات 150/3.

2- فوات الوفيات 438/2.

3- صبح الأعشى 463/2.

4- شذرات الذهب 27/6.

5- الدرر الكامنة 453/3.

6- النجوم الزاهرة 220/9.

7- معجم المؤلفين 68/10.

8- الأعلام 28/7 - 29.

9- تاريخ الخط العربى وآدابه ص 238.

ذكره محمد بن الحسن الطيبى فى «جامع محاسن كتابة الكتاب» فى الصحيفة 18 وترحم عليه، ولما كان الطيبى قد صنف كتابه هذا عام 908 هـ، فيمكن استنتاجاً أن نقول أن ابن بصيص عاش قبل القرن العاشر، وقد ظفرنا بترجمة لابن البصيص هذا واسمه محمد ابن يوسف بن على الشافعى، فى كتاب «تحفة خطاطين» لمصنفه سليمان سعد الدين (ت 1202هـ) ـ المطبوع فى الأستانة ـ 1928 ص 462.

ومن ترجمته يتضح أن ابن البصيص هذا من رجال القرن الثامن الهجرى وكان أبوه موسى بن على من أعلام الخطاطين فى عصره وله (أى للأب) تراجم فى أعيان العصر وأعوان النصر للصفدى 481/5-483، والبداية والنهاية 79/14، والدرر الكامنة لابن حجر 376/4، وذيول العبر ص 89، وابن البصيص (الأب) ولد بحماة سنة 651 هـ وتوفى سنة 716 هـ.. ولم نقف على تاريخ وفاة ابن البصيص (الابن) صاحب هذا الشرح.

وذكره عبد القادر الصيداوى فى وضاحة الأصول إذ قال:

اختار هذا النص نصر الله كذ ابن بصيص بن عبد الله

وبعد: فإن النص الذى ننشره اليوم يضم فى طياته أثراً جديداً، وهو شرح ابن بصيص لرائية ابن البواب. وهو شرح جدير بالإحياء لما تضمنه من آراء قيمة فى الخط والقلم وإنى أهديه إلى علم من أعلام الخط المعاصرين فى وطننا هو الأستاذ يوسف ذنون تقديراً لفنه الرفيع.

والحمد لله على نعمه المتتالية وحسن توفيقه، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً كثيرا.

النص

بسم الله الرحمن الرحيم
رسالة فى علم القلم والحبر والكتابة والورق
تصنيف الشيخ أبى الحسن على بن هلال
الكاتب البغدادى المعروف بابن البواب

وجمعت شروحها من شرح ابن بصيص ومن شرح ابن وحيد والله أعلم بالصواب

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين هذا شرح المنظومة المستطابة فى علم الكتابة[1].

قال الشيخ أبو الحسن على بن هلال الكاتب البغدادى الشهير بابن البواب ـ رحمه الله تعالى ـ

يا مَنْ يرومُ إجادة التحرير ... ويريدُ حُسْنَ الخَطّ والتصوير

[قال ابن الوحيد] قوله: يا من يروم، وفى رواية يا من يريد، والمعنى التقديم والتأخير. وقوله، إجادة التحرير: يعنى إجادة تحرير الكتابة.

قوله، والتصوير: معناه تصوير الخط وهو إلهام من كل صناعة وغايتها تشبيه فعل الطبيعة فيجب أن تكون كل كلمة كالصورة متناسبة الأعضاء.

[قال ابن بصيص]: وهو ينقسم إلى أربعة أقسام: أوضاع، ومناسبة، ومقادير، وبياضات. فالأوضاع: التى وضعها الشيخ رحمه الله. والمناسبة: أن تكون كلها بنسبة. والمقادير التى

(1) عبارة (هذا شرح المنظومة المستطابة فى علم الكتابة) كانت بعد عبارة (رحمه الله تعالى) وهذا من سهو الناسخ فيما أظن، فأعدتها إلى موضعها الذى به يستقيم السياق.

لاتزيد ألفها على لامها وهى التى تكون بين الألف واللام بياضاً متساوياً. وسائر الشطر بياضاً متساو. وقوله، يروم دليل على أنه لا يحصل له حتى يقصده بقلبه.

إنْ كانَ عَزْمُكَ فى الكتابة صادقاً ... فارغبْ إلى مولاك فى التَيْسيرِ

أعْدِدْ من الأقلام كُلَّ مُثَقَّفٍ ... صلْبٍ[1] يصوغ صياغةَ التَّحْبيرِ

[قال ابن الوحيد]: قوله أعْدِدْ فيه إشارة إلى تفضيل الأقلام العتيقة المختزنة على الحديثة العهد بالقطع، وتحريض على تعتيقها.

ومُثَقَّفٌ مُقَوَّمٌ، وهو مُشتقٌ من الثِقاف وهى الخشبة التى تُقَوَّمُ منها الرماح والسهام، ويُروى «مُثَقَّفٍ هَشٍّ» والتجربة تخالفها، لأنّ القلم الرخْو يضطرُّك إلى تقصير جِلْفَتِه ويَحْفَى سريعاً.

«ويصوغ» استعارة.

«التحبير»: النقش من الحبرة.

وإذا عَمَدْتَ لِبَرْيِهِ فَتَوَخَّهُ ... عند القياس بأوسط التقدير

[قال ابن الوحيد]: يعنى متوسِّطاً فى طُوله وقِصَرِه وثخانته ورقّته، إلا أن تبرى للطومار فتستغلظه وبالضدّ.

أنظرْ إلى طَرَفَيْهِ واجْعَلْ بَرْيَهُ ... مِنْ جانبِ التدقيق والتَخْصيرِ

(177 ب)

[قال ابن الوحيد]: يعنى أن البَرْىَ يجب أن يكون من رأس الأنبوبة فإنّه أصْلَبُ أجزائها لأن رطوبته قد جفت بسبب انكشاف قشرها عنه ودوام قرع الشمس له، ولذلك صار رأس الأنبوبة أدق لتلزُّزِه، وقد بيّنْتُ أنّ صلابةَ القلم مطلوبة، ورأسُ الأنبوبة أصْلُها.

واجْعَلْ لجلْفَتِهِ قواماً عادلاً ... يخلو من التطويل والتقصير

(1) فى الأصل المخطوط (هش) وهو من وهم الناسخ فالتجربة تدحضه، والتصويب عن شرح ابن الوحيد بتحقيقنا.

[قال ابن الوحيد]: لكُلِّ قَصَبَةٍ جلفة بحسب صلابتها، فالصُّلْبَةُ تُطَوَّلُ، وحَدُّها أن لا تأخذ في الخطِّ ولا تُعطى فتختلف ثخانةُ الكتابة.

[قال ابن بصيص]: وينبغي أن تضع القلم على الأرض فيتدحرج ثم يقف، فابْرِ منه الموضع الذي وقف عليه فإنّ البَرْيَةَ لا تجيءُ مفتولةً، والله أعلم.

وكذلكَ شحمته اعْتَمِدْ تَوْسِيطَها لتكون بين النقص والتوفير

[قال ابن الوحيد]: الشَحْمَةُ إذا عَظُمَتْ سَتَرَتْ الفركات وإذا قلَّتْ جَفَّتْ رطوبةُ الكتابة.

فإن كان القلم مُحَرَّفاً رَقَّتْ منتصباتها رقّةً تُنافرُ بها ثَخانَةَ منسطحاتها وفَحُشَت بها الفركات. والمُدَوَّرُ تشخن به المنتصبات.

[قال ابن بصيص]: والشحمة في صدر القلم إذا وسع [كذا] على الورق في فتحته، فمنهم من يأخذها، ومنهم من يجعلها بارزة، ومنهم من يقصد بها التوسط، وهو اختيار الشيخ رحمه الله.

والشَّقّ وَسِّطْهُ ليَبْقَى حِبْرُهُ من جانِبَيْهِ مُشاكِلَ التقدير

[قال ابن الوحيد]: توسط شَقَّة القلم لينزل الحبر في وسط الخط، ولئلاّ يضعف أحد شِقَّيْ القلم فتفسدَ الكتابةُ، لكنْ إنْ عَظُمَ السِّنُّ الأيمن قليلاً لم يَضُر.

حتّى إذا أحكمت ذلك كُلَّهُ إحْكامَ طَبٍّ بالمراد خبير

[قال ابن الوحيد]: الطَّبُّ بفتح الطاء والطبيب بمعنى، مثل اللبِّ واللبيب.

والشيخ يحض على التحرير.

فاصْرِفْ لشأن القَطِّ عَزْمَكَ كُلَّهُ فالقَطُّ فيه جُملَةُ التدبير

أوّل ما شرع في البرية وتقدم الكلام فيها، ثم شرع في القطّ ليكون علّتها ويقول: اصرف إليها همتك وكليّتك.

[قال ابن الوحيد]: لأن النحت في القلم والشقّ لا يباشر أحدهُما (178 آ) الخطّ بنفسه. والقَطَّةُ هي التي تصوِّر الكتابة بذاتها فمتى زاغتْ شفرةُ السكين عن الهيئة التي يجب أن تكون عليها عند وقعها على القطّة مقدار رُبْع شعرة أفسدت القطة فلا تَصُحّ الكتابةُ، فلذلك يجب أن تصرف إليها صادق العناية والعزم.

[قال ابن بصيص]: وصفتُها أنْ تأخذ قصبةً يابسة صُلبةً وتضع السكين على البرية فوق القصبة فتحزّ فيها حزّاً مستقيماً ويطلع لها حسٌّ قويٌّ. فإذا كانت القطّةُ حادّةً تجيءُ الكتابةُ صافيةً، وإن كانت غير حادة تجيء الكتابة شعثة. والقطّةُ عليها العَمَلُ عند سائر الكتبة، ومن عرفَ القطّة عرف الكتابة، والله أعلم.

لا تَطْمَعَنْ في أنْ أبوحَ بذكرِهِ ... إنّي أضِنُّ بسرِّه المستورِ

[قال ابن الوحيد]: إنّما بخلُ الشيخ بالتصريح به حتى لا يعرفه إلا مرتاضٌ في فكّ رموز الحكمة على عادة الحكماء في صيانة أسرارهم بالرمز عن الجُهّال.

لكنّ جُمْلَةَ ما أقولُ بأنّه ... ما بين تحريفٍ إلى تدويرِ

قال ابن الوحيد: رَمَزَ عن القطّة في هذا البيت لما عانى في تَعَرُّفها من الشدّة، ولأن الهمم كانت في طلب الفضائل عاليةً في زمانه، ولأن جدوى هذه الصناعة كانت عظيمة، فَرمزَ السبب في إتقانها بقوله: «ما بين» ولما غيّر قوم بعدُه كثيراً من طريقته لجهلهم بالقطّة ولقلّة ما وقع إليهم من جيّد خطّه وقلت الهمم في بلوغ الغاية من هذه الصناعة، رأيتُ كشف رمزه واجباً وهو أنه قال جملة فَتَحْتُها تفصيلٌ والمعنى: أنّ لكل قَلَمٍ مُسَمّى كالمحقق والنسخ قطّةٌ تَخُصُّه، فقطّة الريحان أشدُّها تحريفاً ثم تقل حتى تكون قَطَّةُ الرقاع أقلّها، فصارت أنواعاً من التحريف إلى التدوير.

فابذلْ لَهُ منك اجتهاداً كافياً ... فَعساكَ تَظْفَرُ منه بالمأثورِ

[قال ابن الوحيد]: قال الشيخ ـ رحمه الله ـ يَحُضُّ على مزاولة القط بالنقل، فأنا لنقلي من جيّد قَطْعه الأقلام كلها وقياسي على قطّاته المختلفة، صَحّتْ لي بطول التجربة (178 ب).

وألِقْ دواتَكَ بالدُّخـــان مُـــدبّراً باخَلّ أو بالحِـــصْـــرم المعـــصـــور

[قال ابن الوحيد]: اختار الدخان لنعومته وتطويسه، واختار العصارتين لغلظهما وقبضهما وبعدهما عن الفساد، وأنا أرى أن المركب على البارد خيرٌ منه وهو نسخة السمعاني: جزء عفص ونصف جزء صمغ وربع جزء زاج، يُطحن ويدعك بماء الجُلّنار في الهاون أيّاماً حتى يتحد ويصفّى ويُلقى عليه من الشبّ والملح الأندراني والزنجار والصبر لكلّ رطل منها نصف أوقية، ويوضع في الشمس أسبوعين لا ينمحي.

[قال ابن البصيص]: ينبغي أن تكون الليقة من حرير مغسولة بالصابون منشّفة تنشيفاً جيداً، ثم تأخذ الحبر العال المُطوّس وتُلقيه على الليقة وتحركها. والحبر يُستخرج من الحوائج المذكورة وهي صبر سقطرى ودرهم زعفران جيد وثلاثة دراهم زنجار بلا حد (كذا) وثلاثة دراهم ملح أندراني، تُدَقّ هذه الحوائج كُلّ واحد بمفرده ويداخل العفص الأخضر صحيحاً سالماً من كلّ عيب ويدقّ ناعماً ثلاثاً وأربعاً والوزن ثلاث أواق وينقع ثلاثة أيام مع شيء من ورق الآس ويخلى إلى أن يذهب ثلثه ويصفّى من الرابعة على الحوائج المذكورة ويترك سبعة أيام ثم يؤخذ ما صُفّي من الماء ويجعل في إناء زجاج ويجعل معه الصمغ الجيد غير مدقوق فإنه أبقى لجوهريته ويُسوّد بالزاج القبرصي فإنه غاية. ويعمل من الماء المصمغ جدّاً مركباً وهو أن يستخرج دخاناً من زيت الكتان ويجعله مكان الصمغ فإنّه يُعطيه سواداً زائداً ويجعل معه زاجاً قبرصيّاً خالصاً ليقوى سواده وتطويسه، وإذا فرغ من ذلك غمره بالليقة الحرير المغسولة نظيفاً، فإذا انغمر في الليقة واستقرت به في الدواة ورأى الكاتب قوامه مختلاً غمره بالخلّ أو بالحصرم المعصور ويضاف إليه المغرة المُصوّلة والزرنيخ مع الكافور ليزداد إشراقاً، وهو معنى قوله «وأضف إليه مغرةً قد صُوّلت».

وأضِفْ إليـــه مـــغـــرةً قـــد صُـــوّلت مع أصفر الزرنيخ والكافور (179 آ)

[قال ابن الوحيد]: يعني المغرة العراقية وهي تكسوه حمرةً وتجعل له جسماً على القلم فتزيد معنى الرطوبة، والزرنيخ يُحَسّنُ لونَهُ ويمنعُ الذباب ويميتُهُ، والكافور يَحْفَظُهُ من الفساد ويُطَيّبُهُ.

حتى إذا خَمَّرْتَها فاعمد إلى الـ ـورق النقيِّ الناعم المخبور

[قال ابن البصيص]: أى إذا خمَّرتَ دواتك وبريت قلمك فاعمد وخذ الورق الجسيم الناعم.

[قال ابن الوحيد]: المخبور فى قبوله للصقال، وأنْ لا يتقطّع فيه الخطُّ، وأن يطيب فيه مَشْىُ القلم ولا يَتَقَصَّف بعد القطع.

فاكبسه بعد القطع فى المعصار كى يَنْأى عن التشعيث والتغيير

[قالا]: إذا كُبِسَ بعد القطع والبخّ الناعم زال منه التشعيبُ والتشعيث أى بالعروق والوبر ولم تتغيّر مائيَّتُهُ وصقالُه.

[قال ابن البصيص] وقد قال [الشاعر]:

تَخَيَّرْ ثلاثاً واعتمدها فإنّها على بهجة الخطّ المليحِ تُعينُ
مِداداً وطرساً مُحكماً وبراعةً إذا اجتمعتْ قَرَّتْ بهنّ عيونُ
ثمَّ اجْعَلِ التمثيل دأبك صابراً ما أدركَ المأمولَ مِثْلُ صَبورِ

[قال ابن الوحيد]: «التمثيلُ» التجويد على مثال وتمثيله فى أوراق كثيرة مراراً قبل وضعه فى المبيّضة لتجسر عليه.

ابْدأ به فى اللوح أوّل مرّةٍ فكذاك فعل الماجد النحرير

[قال ابن بصيص]: أمر الشيخ ـ رحمه الله ـ بمراقبة المثال الذى يُمثّله الشيخ المبتدئ ليلاً ونهاراً ينظر فيه حتى ينال بعضه، وجعل الصبر هو الأصل وإذا لم يصبر لم يدرك قصده. ثم أمره أن يبدأ به فى اللوح فى أوّل ما يكتب ليسهل عليه لأنّه يمكنه أن يمحو فيه كلما جاء غير مناسب، ولا يبدأ به إلا فى قلم المحقق والأشعار لأنّه أقرب إلى التحقيق، وقال أوّل مرة ولم يأمر إلاّ مرة واحدة وهى البداية «فكذاك فِعْلُ الماجد» الذكى الألمعى.

قال ابن الوحيد: هذا الكلام للمنتهى. ويدل على ذلك البيت الآتى:

ثم انتقلْ للدُّرْجِ مُنْتَضياً له عَزْماً تجدِّدُهُ من التشمير

[قال ابن بصيص]: أمر الشيخ بعد اللوح أن ينتصب للكتابة، والانتصاب أن (179 ب) يكون قعوده على ركبة ونصف ويأخذ القلم ويضع الكتابة فى الدرج والدرج هو الورق المنسوب للكتابة والمبيضات على الشيخ وينقله بخطه.

[قال الجامع]: وأظنُّه تَصَحَّفَ عليه قولُ الشيخ «مُنْتضياً له» بالضاد المعجمة والياء المثناة تحت.

[قال ابن الوحيد]: هذا للكاتب المنتهى لا يضع سطراً فيما يُبيِّضه حتى يبدأ به فيما يبطله ليتخيَّرَ وَضْعَهُ.

وابْسط يمينكَ بالكتابة مُقْدِماً ... ما أدرك المطلوبَ مثلُ جَسُورِ

[قال ابن بصيص]: وابسط يمينك بالإقدام وهو الهجوم على الشيء والدخول فيه من غير فزع ولا مَلَلٍ فإنَّ الجسارة مطلوبة فى كل شيء وللدخول فيه.

[قال ابن الوحيد]: أقول إنّ تَهَيُّب القلب لوضع الكتابة سَبَبٌ عظيمٌ لضعفها واضطرابها، وأكثر الناس يخاف أن لا تأتي على مراده فتختل يده لجُبْنه.

لا تخجلنّ من الردئ تَخُطُّه ... فى أوّل التمثيل والتصوير

[قال ابن الوحيد]: الجاهل الضعيف يستحى أن يرى الناس نَقْصَهُ فى ابتداء تعلمه للفن، فيمتنع من التعلّم لكِبْرِه وغباوته فيبقى جاهلاً طول حياته.

والأمرُ يَصْعُبُ ثُم يَرْجِع هَيِّناً ... ولَرُبَّ سَهْلٍ جاءَ بعد عسيرِ

[قال ابن الوحيد]: هذا البيت يُحذِّر الطالب عند استبطائه وضجره من القنوط، ويُبَشِّر الصابر بنيل المطلوب.

فإذا بَلَغْتَ مُناكَ فيما رُمْتَهُ ... وغدوت حِلْفَ مَسَرَّةٍ وحُبورِ

[قال ابن بصيص]: أى إذا أدركت مللاً فى الكتابة وأقسامها فتنقسم إلى أقسام فمن ذلك ما ينقسم إلى أصلين، الأول: قلم المحقق وهو أول ما يبدأ به ذلك لتحقيق حروفه وهو

أن تكون واوه مفتوحة وكذلك تاؤه وميمه[1] وحروفه تحققت، ومنه يستخرج قلم الريحانى والنسخ هو الذى تكتب به الأحاديث النبوية ـ على قائلها أفضل الصلاة وأتم السلام ـ وكتب الفقه وكتب النحو وكتب اللغة وغيرها.

والأصل الثانى: هو القلم الثلث، وهو أصل الكتابة المنسوبة ومتى أتْقَنَهُ الكاتبُ أتقن جميع حروف الكتابة. ومنهُ تفرعت (180 آ) الأقلام، وفرعه يستخرج منه وهو قلم التوقيعات الذى يكتب به المباشر والتواقيع عن السلطان، ومن التوقيعات يستخرج منه فرعه وهو قلم الرقاع وهو الذى تكتب به المراسلات فى ديوان الإنشاء وكتاب الشرط.

قال ابن بصيص: ثم إن الشيخ والدى ـ رحمه الله ـ نظر إلى الأصل الأول وهو قلم المحقق وإلى لأصل الثانى وهو قلم الثلث فجَمَعهُما فامتزجا فسمّاه الأشعار وهو القلم السابع. ومنهم من يُسميه المؤنق وسُئلَ ـ رحمه الله ـ متى يستحق الخط أن يوصف بالحسن فقال: «إذا اعتدلت أقسامُه وصحّت ألِفُهُ ولامُهُ، وأشرق قرطاسه، ولم تختلف أجناسهُ، وضاهى صعوده حدوره، ولم تشبه راءُه نونه».

فالمحقق هو الذى تحققت حروفه، والتوقيع الذى تداخلت حروفه وتعلقت خلاف المطلق ينظر إلى المحقق ليس هو برطوبة محضة يستدعى ما يستدعيه من التعليق ولا يباسة محضة فيحتاج إلى التحقيق.

[قال ابن الوحيد]: وقوله الحلف والحليف: المُلازم، وأصله أنّ العرب كان المستضعف منها يخاف أن يتخطّفه الناس فيأوى إلى القوىّ بعد أن يحالفه. والحبور: المسرّة.

واشكر إلهكَ واتّبعْ رضوانَهُ إنّ الإلـه يُحِبُّ كلّ شكورِ

[قال ابن الوحيد]: الشكر: التحدّث بالنعمة، ومتابعة رضوانه: تحرّى طاعته فيما يحبُّه منك.

وارغبْ لنفسك أن تخطْ بنائها خيراً تُخَلِّفُهُ بدارِ غُرورِ

---

(1) كلمة غير مقروءة.

[قال ابن الوحيد]: ثم أمر بالرغبة وهى الطلب أن لا تكتب يدك شيئاً يسخط الله تعالى عليك لعَرَض الدنيا فهى غرّارة، ثم قال:

فجميعُ فعلِ المرءِ يلقاهُ غداً عند التقاء كتابه المنشورِ

[قال ابن بصيص]: واعلم بأنّ الكتابة حجة على الإنسان فى الأخرى وحجة له، يرحمه الله تعالى فى الدار الآخرة.

والله أعلم بالصواب (180 ب).